خصائص الإسلام

الإسلام دين الإيثار

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

أخي القاري الكريم –وفقك الله – اعلم أن الإسلام دين الإيثار والمواساة تدل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، التي ستمر بك في السطور القادمة قريبا إن شاء الله.

ويمتاز الدين الإسلامي الحنيف عن غيره من الأديان والفرق الأخرى بأنه هو دين الإيثار والمواساة، قدم كثيرا من الصور الصادقة والأمثلة الصالحة الحية الرائعة الخالدة للإيثار والمواساة بين بشر العالم الحائر، ولقد عجزت النظم والمناهج الوضعية عن تقديم أدنى أنموذج بين يدي البشر لذلك في العصر المعاصر كما استطاع الإسلام تقديم ذلك أمام العالم.

أخي في الله – رحمك الله – إذا قرأت كتاب الله تعالى رأيت أن الله جل وعلا تناول ذكر الإيثار والمواساة باهتمام كبير في محكم كتابه، وأثنى على الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وحاجة قائلا: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}[1].

إذا قرأت سيرة الصحابة الكرام –رضي الله عنهم – في كتب الحديث والسيرة رأيت أنهم لقد ضربوا أروع مثل وأعلى أنموذج للإيثار والمواساة حفظ لنا التاريخ كل ذلك، كما على سبيل المثال لا الحصر أن أبا بكر رضي الله عنه تصدق بجميع ماله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك؟ فقال رضي الله عنه: أبقيت لهم الله ورسوله"[2].

وكذلك إذا أجلت النظر في يوم اليرموك رأيت أن الجيش الإسلامي – وهم الصحابة الأجلة رضي الله عنهم – لقد ضربوا أروع نظير وأعلى مثل في باب الإيثار

---

(١) سورة الحشر:٩

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٢/٤، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

والمواساة كما هو مسجل في أوراق التاريخ، وفي ذلك يقول الحافظ ابن كثير في كتابه: "وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم"[١].

هذا هو الإيثار، وهذه هي المواساة، والتضحية والتفاني، الذي ضربه الجيش الإسلامي في العهد النبوي الميمون، وتركوا للأمة اللاحقة والنشء القادم مثلا أعلى وأنموذجا أسمى لتسير عليه وتقتدي به.

واقرأ معي سيرة أبي طلحة رضي الله عنه الشريفة تر أنه كيف آثر على نفسه مع خصاصته وحاجته إلى أكل الطعام، أطعم ضيف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: "من يضيف هذه الليلة" – يرحمه الله – وأشبعه، وبات هو وأهله وعياله جياعا، وأنزل الله تعالى آية من فوق السماء في شأنه استبشارا وابتهاجا وفرحا بصنيعه الجميل بضيفه الكريم، كما ساق الإمام مسلم رحمه الله قصته في صحيحه عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: من يضيف هذه الليلة – رحمه الله – فقام رجل من الأنصار (هو أبو طلحة رضي الله عنه) فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا هوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا، وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"[٢].

---

(١) المصدر السابق

(٢) باب إكرام الضيف وفضل إيثاره

واقرأ معي كذلك سيرة ابن عمر – رضي الله عنه – في كتب السيرة والتاريخ تر أنه آثر على نفسه إطعام السائل مع أنه كان مشتهيا راغبا إلى الطعام، ومع أنه كان مريضا محتاجا إليه كما ساق ابن كثير رحمه الله قصته في كتابه قائلا: "وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية، يعني امرأته، فاشترت عنقودا بدرهم، فأتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فأتبع الرسول السائل، فلما دخل قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به"[1].

فبان بهذا جليا أن الصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم – قدموا أمثلة رائعة واضحة للإيثار والمواساة بين أيدينا، كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من الكتاب والسنة.

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم يوم بدر أن يكرموا الأسارى إظهارا لمبدأ الإيثار والمواساة والتضحية، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، ولذا كان الصحابة – رضي الله عنهم – يأكلون التمر ويطعمون الأسارى الطعام – الخبز – عملا بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم، كما هو مذكور في كتب السيرة والحديث والتاريخ.

هذا! وكذلك في ذلك العشرات، بل المئات من الأمثلة الرائعة والشواهد القاطعة لإيثار الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان – رضي الله عنهم – ومواساتهم بمالهم سجلتها أوراق كتب التاريخ والسيرة.

فقد عرفت جيدا مما تقدم من نصوص الكتاب والسنة والتاريخ والسيرة أن الإسلام دين الإيثار والمواساة، حث أتباعه على ذلك، وإنه ليس هناك ديانة ولا ملة، ولا منهج ولا نظام على وجه الأرض قدم أمام البشر مبادئ الإيثار والمواساة غير دين الإسلام.

❖❖❖

---

(1) تفسير ابن كثير ٤/٥٨٤